

فتح القدير

26 - { فكلي واشربي } أي من ذلك الرطب وذلك الماء أو من الرطب وعصيره وقدم الأكل مع أن ذكر النهر مقدم على الرطب لأن احتياج النفساء إلى أكل الرطب أشد من احتياجها إلى شرب الماء ثم قال { وقرى عينا } قرأ الجمهور بفتح القاف وحكى ابن جرير أنه قرئ بكسرهما قال : وهي لغة نجد والمعنى : طيبى نفسا وارفضي عنك الحزن وهو مأخوذ من القر والقرة وهما البرد والمسور بارد القلب ساكن الجوارح وقيل المعنى : وقرى عينا برؤية الولد الموهوب لك وقال الشيباني : معناه نامى قال أبو عمرو : أقرأ عينه : أي أنام عينه وأذهب سهره { فإما ترين من البشر أحدا } أصله ترين : مثل تسمعين خفت الهمزة وسقطت النون للجزم وياء الضمير للساكنين بعد لحوق نون التوكيد ومثل هذا مع عدم لحون نون التوكيد قول ابن دريد : .

(أما ترى رأسي حاكى لونه ... طرة صبح تحت أذيال الدجى) .

وقرأ طلحة وشيبة { ترين } بسكون الياء وفتح النون مخففة قال أبو الفتح : وهي شاذة وجواب الشرط { فقولني إني نذرت للرحمن صوما } أي قولني إن طلب منك الكلام أحد من الناس إني نذرت للرحمن صوما أي صمتا وقيل المراد به الصوم الشرعي وهو الإمساك عن المفطرات والأول أولى وفي قراءة أبي إني نذرت للرحمن صوما صمتا بالجمع بين اللفظين وكذا روي عن أنس وروي عنه أنه قرأ صوما وصمتا بالواو والذي عليه جمهور المفسرين أن الصوم هنا الصمت ويدل عليه { فلن أكلم اليوم إنسيا } ومعنى الصوم في اللغة أوسع من المعنيين قال أبو عبيدة : كل ممسك عن طعام أو كلام أو سير فهو صائم وقراءة أبي تدل على أن المراد بالصوم هنا الصمت لأنه تفسير للصوم وقراءة أنس تدل على أن الصوم هنا غير الصمت كما تفيده الواو ومعنى { فلن أكلم اليوم إنسيا } أنها لا تكلم أحدا من الإنس بعد إخبارهم بهذا الخبر بل إنما تكلم الملائكة وتناجي ربها وقيل إنها لم تخبرهم هنا باللفظ بل بالإشارة المقيدة للنذر .

وقد أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله : { انتبذت من أهلها مكانا شرقيا } قال : مكانا أطلها الشمس أن يراها أحد منهم وأخرج الفريابي وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عنه قال : إنما اتخذت النصرى المشرق قبلة لأن مريم اتخذت من أهلها مكانا شرقيا فاتخذوا ميلاده قبلة وإنما سجدت اليهود على حرف حين نتق فوقهم الجبل فجعلوا ينحرفون وهم ينظرون إليه يتخوفون أن يقع عليهم فسجدوا سجدة رضيها □ فاتخذوها سنة وأخرج الحاكم وصححه والبيهقي في الأسماء والصفات وابن عساكر من

طريق السدي عن أبي مالك عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود قال : خرجت مريم بنت عمران إلى جانب المحراب لحيض أصابها فلما طهرت إذا هي برجل معها { فتمثل لها بشرا } ففزعت و { قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا } فخرجت وعليها جلبابها فأخذ بكمها فنفخ في جنب درعها وكان مشقوقا من قدامها فدخلت النفخة صدرها فحملت فأنتها أختها امرأة زكرياء ليلة تزورها فلما فتحت لها الباب التزمتها فقال امرأة زكرياء : يا مريم أشعرت أني حبلى قالت مريم : أشعرت أني حبلى فقالت امرأة زكرياء : إني وجدت ما في بطني سجد للذي في بطنك فذلك قوله تعالى : { مصدقا بكلمة من الله } فولدت امرأة زكرياء يحيى ولما بلغ أن تضع مريم خرجت إلى جانب المحراب { فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة قالت يا ليتني مت قبل هذا } الآية { فنادها } جبريل { من تحتها أن لا تحزني } فلما ولدته ذهب الشيطان فأخبر بني إسرائيل أن مريم ولدت فلما أرادوها على الكلام أشارت إلى عيسى فتكلم ف { قال إني عبد الله آتاني الكتاب } الآيات ولما ولد لم يبق في الأرض صنم إلا خر لوجهه وأخرج عبد الرزاق والفريابي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس في مريم قال : حين حملت وضعت وأخرج ابن عساكر عنه قال : وضعت لثمانية أشهر وأخرج ابن أبي حاتم عن قتادة في قوله : { فأرسلنا إليها روحنا } قال : جبريل وأخرج سعيد بن منصور وابن المنذر عن سعيد بن جبير نحوه وأخرج ابن أبي حاتم عن عطاء نحوه أيضا وأخرج ابن أبي حاتم والحاكم وصححه والبيهقي في الأسماء والصفات وابن عساكر عن أبي بن كعب في الآية قال : تمثل لها روح عيسى في صورة بشر فحملته قال حملت الذي خاطبها دخل في فيها وأخرج ابن جرير عن ابن عباس في قوله : { مكانا قصيا } قال : نائيا وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عنه في قوله : { إلى جذع النخلة } قال : كان جذعا يابساً وأخرج ابن جرير وابن المنذر عنه أيضا في قوله : { وكنت نسيا منسيا } قال : لم أخلق ولم أك شيئا وأخرج ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن عكرمة { وكنت نسيا منسيا } قال : حيضة ملقاة وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن مجاهد نحوه وأخرج عبد بن حميد عن نوف البكالي والضحاك مثله وأخرج عبد بن حميد عن عكرمة في قوله : { فنادها من تحتها } قال : الذي نادها جبريل وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس قال : الذي نادها من تحتها جبريل ولم يتكلم عيسى حتى أتت به قومها وقد اختلفت الروايات عن السلف هل هذا المنادي هو جبريل أو عيسى وأخرج عبد بن حميد عن أبي بكر بن عياش قال : قرأ عاصم بن أبي النجود { فنادها من تحتها } بالنصب قال : وقال عاصم من قرأ بالنصب فهو عيسى ومن قرأ بالخفض فهو جبريل وأخرج الطبراني وابن مردويه وابن النجار عن ابن عمر : سمعت رسول الله ﷺ يقول : [إن السري الذي قال الله لمريم { قد جعل ربك تحتك سريا } نهر أخرجه الله لها لتشرب منه] وفي إسناده أيوب بن نهيك الجبلي قال فيه أبو حاتم الرازي : ضعيف وقال أبو زرعة : منكر

الحديث وقال أبو فتح الأزدي : متروك الحديث وقال الطبراني بعد إخراج هذا الحديث : إنه غريب جدا وأخرج الطبراني في الصغير وابن مردويه عن البراء بن عازب عن النبي A في قوله { قد جعل ربك تحتك سريا } قال : النهر وأخرج عبد الرزاق والفريابي وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وصححه والحاكم وابن مردويه عن البراء قال في الآية : هو الجدول وهو النهر الصغير فظهر بهذا أن الموقوف أصح وقد روي عن جماعة من التابعين أن السري هو عيسى وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله : { رطباً جنياً } قال : طريا وأخرج ابن المنذر وابن مردويه في قوله : { إني نذرت للرحمن صوما } قال : صمتا وأخرج عبد بن حميد وابن الأنباري عنه أنه قرأ صوما صمتا